

الشيخ حياة بن قيس الحراني

581-501 هـ

الباحثة نبيلة القوصي

الشيخ القدوة ذو الأحوال و الكرامات، شيخ حرّان وزاهدها: حياة بن قيس بن رجّال بن سلطان الأنصاري الحرّاني.

- زاره السلطان نور الدين الزنكي فقوى عزمه على جهاد الصليبيين.
 - وزاره القائد صلاح الدين الأيوبي وسأله النصيحة والدعاء.
 - وكان ممن حضر في عام 555 هـ المكرمة والمنحة التي منحها الله عز وجل للشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله بتقبيل يد الرسول صلى الله عليه وسلم في المسجد النبوي الشريف أمام آلاف الناس في الحجرة العطره الشريفه، وجميع المصادر تذكر الحادثة ثم تقول: وكان ممن حضر الحادثة من أكابر ذلك العصر الشيخ حياة بن قيس الحراني
- فمن هو هذا الشيخ الجليل...؟؟؟

تأتيكم الإجابة من زاوية "معالم وأعيان"، ندعوكم إخواني القراء المتأملين للعبرة والعظة في قراءة عميقة لسير هؤلاء العظماء الذين سبقونا بالإيمان والتطبيق لخلافة حقيقية فوق تراب دمشق المباركة، ولسوف نُسأل عما قدمنا لهذه الأرض التي خصّنا نبينا الكريم بدعائه: **(اللهم بارك لنا في**

شامنا).

فهي معاً نجتهد في تدبر المنهج النبوي الفريد، والذي تركه لنا نبينا الكريم:



(تركت فيكم ما إن تمسكم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي).

هذا ما تمسك به سلفنا الصالح فكانوا خير أمة أخرجت للناس، جعلنا الله وإياكم منهم، آمين يا رب العالمين.

إخوتي الكرام:

مدينة دمشق تحتضن في تراجمها الطاهر عدداً كبيراً من الأولياء الصالحين، ولنتذكر أن الأولياء لا يُشترط أن يكونوا شيوخاً أو دعاة، فالوليّ الذي يقيم أركان الإسلام وسريته بيضاء نقية من غير غل ولسانه نظيف من الغيبة والنميمة والكذب والكلام البذيء.

(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده).

فباب الولاية مفتوح أمام المسلمين إن كان أباً أو أمماً يجتهدان في تقديم ذرية صالحة تدخلهم في منافسة شريفة طاهرة أرادها لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم :

(تناكحوا تكاثروا فإني مباه بكم الأمم).

فأي عاقل لا يرضى هذه المباهاة الحقيقية بإقامة ما يجب الله و رسوله لقوله تعالى :

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله).

(الآن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

فمن قراءة صحيحة لسير الصالحين تنزل الرحمات و تقوى الهمم في النفوس فهيا نقرأ و لساننا يدعو الله عزَّ و جلَّ أن ينفعنا بما يعلمتنا.. و أن يُدخلنا في زمرة الأولياء الصالحين...

تذكر المصادر عن الشيخ حياة أنه من أجلاء المشايخ و عظماء العارفين و أعيان المحققين

صاحب الكرامات و المقامات و الكشف الجلي حتى كان يحل به مشكلات القوم.

فكان أهل حرّان يستسقون به فيسقون و له أقوال حكيمة منها:

- حقيقة العرفاء إقامة السر عن رقدة الغفلات.
- فراغ الهمم عن جميع الكائنات.
- و من أحب أن يرى خوف الله تعالى في قلبه و يكشف بأحوال الصديقين فلا يأكل إلا حلالاً و لا يعمل إلا في سنة أو فريضة.
- و ما حرم من حرم عن الوصول و مشاهدة الملكوت إلا بشيئين سوء الطعمة و أذى الخلق.

و كان يقول و ينصح:

- تعرض لرقة القلب بمجالسة أهل الذكر و استجلب نور القلب بدوام الجدد.

- و من علامات المرید الصادق أن لا یغتر عن ذکره، و لا یمل من حقه، و یلزم السنة و الفریضة.

- و اجعل الزهد عبادتك، و احذر أن تجعله حرفتك.

- و الحبة سمعة المعرفة، و عنوان الطريقة یتوصلون بها إلى بقاء المحبوب.

و كان الشيخ كلمة إجماع بین أهل بلده حرّان و هي قرية فی غوطة دمشق.

من صفاته أنه كان بشوش الوجه و لین الجانب و رحیم القلب، كان سخياً كريماً صاحب لیل و تبّتل، محباً لله راجياً عفوه و كرمه فهو فی اللیل قائم و بلسانه ذاکر و فی قلبه خاشع.

رحمه الله تعالى، زاره الملوك و السلاطين طالبين النصيحة و الدعاء فقد زاره السلطان نور الدين الزنكي و سأله الدعاء فقوى عزمه على الجهاد ضد الفرنج و دعى له، و كذلك السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي طلب منه الدعاء رحمهم الله جميعاً و جعلنا خير خلف لخير سلف.



من سيرة شيخنا الجليل تلمس معاني الحكمة العطائية:

"نجتهد فيما ضمن الله لنا من الاستخلاف و نقصر فيما طلب منا من العبودية و نطالب مولانا بالنتائج"

فالإخلاص لله عز وجل في السر والعلن عنوان عبودية الإنسان لربه على الأرض، وهذا ما يريده الله منا بينما نحن مقصرون في ذلك، مشغولون بدنيا فانية وقيل وقال، والله كتب الإحسان في كل شيء: القول والعمل والعبادة والمعاملة، لذلك نجد العلماء الصوفيين قد نجحوا في عبادة السر والعلن، فوقف السلاطين والملوك يطلبون دعاؤهم .

أما عن شيخ العالم الصوفي حياة بن قيس فمنهم: أبو عبد الله الحسين البواري، تلميذ مجلي بن ياسين. رحمهم الله تعالى .

و كان ملازماً لزاويته بجران خمسين سنة متواصلة و توفي سنة 581هـ ودفن فيها.

رحم الله الشيخ حياة بن قيس الذي كان من الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، باتباع النبي الكريم حق الاتباع ، فكان من أئمة الهدى والنور، جعلنا الله عز وجل ممن يقرؤون ويستمعون القول فيتبعون أحسنه ، اللهم آمين.

المصادر:

(البداية و النهاية) لابن كثير.

(سير الأعلام) للذهبي.